

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: 57]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مَجِيءُ وَفْدِ
الْمَلَائِكَةِ،
وَتَسَاوُلُ إِبْرَاهِيمَ
عَنْ غَرَضِ
مَجِيئِهِمْ بِسُورَةِ
الْبَشَارَةِ

لَمَّا تَحَقَّقَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ الْبَشْرَى وَرَأَى إِتْيَانَهُمْ مَجْتَمِعِينَ عَلَى غَيْرِ الصِّفَةِ الَّتِي يَأْتِي عَلَيْهَا الْمَلَكُ لِلْوَحْيِ، وَكَانَ عَلَى عِلْمٍ بِأَنَّهُ مَا تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ، عَلِمَ أَنَّ لَهُمْ غَرَضًا سِوَى إِيْصَالِ الْبَشَارَةِ؛ لِأَنَّ الْوَاحِدَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَافٍ فِي الْبَشَارَةِ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِأَنْ يَسْأَلَهُمْ عَنْ أَمْرِهِمْ؛ لِيُزِيلَ وَجْهَهُ كُلَّهُ، فَلِذَلِكَ جَاءَتْ الْآيَةُ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾⁽¹⁾.

أَوْ يُقَالُ إِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ لَهُمْ غَرَضًا سِوَى الْبَشَارَةِ لِأَجْلِهِ أُرْسِلُوا بِقَرِينَةٍ مُخَاطَبَتِهِ لَهُمْ بِعنوانِ الرِّسَالَةِ مَعَ تَصْدِيرِهِ بِالْفَاءِ الْمُفِيدَةِ لِتَرْتِّبِ أَمْرِ عَلَى أَمْرٍ، فَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَقَالَاتِهِمُ الْمُطَوَّيَّةَ كَانَتْ مُتَضَمِّنَةً لِبَيَانِ أَنَّ مَجِيئَهُمْ لَيْسَ لِمَجَرَّدِ الْبَشَارَةِ بَلْ لَهُمْ شَأْنٌ آخَرُ لِأَجْلِهِ أُرْسِلُوا فَكَأَنَّهُ قَالَ ﷺ: إِنْ لَمْ يَكُنْ شَأْنُكُمْ مَجَرَّدَ الْبَشَارَةِ ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾⁽²⁾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿خَطْبُكُمْ﴾: أَصْلُ (خَطَبَ): يَدُلُّ عَلَى الْكَلَامِ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ: خَاطَبَهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ⁽³⁾. وَمِنْهُ الشَّانُ أَوْ الْأَمْرُ، صَغُرَ أَوْ عَظُمَ؛ وَقِيلَ: هُوَ سَبَبُ الْأَمْرِ. يُقَالُ: مَا خَطْبُكَ؟ أَيُّ: مَا أَمْرُكَ؟ وَتَقُولُ: هَذَا خَطْبٌ جَلِيلٌ، وَخَطْبٌ يَسِيرٌ. وَالْخَطْبُ: الْأَمْرُ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ الْمُخَاطَبَةُ، وَالشَّانُ وَالْحَالُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: جَلَّ الْخَطْبُ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/67.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/82.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خطب).

أَيُّ: عَظُمَ الْأَمْرُ وَالشَّأْنُ⁽¹⁾. قِيلَ: سُمِّيَ خَطْبًا لِأَنَّهُ يَقْتَضِي أَنْ يُخَاطَبَ الْمَرْءُ صَاحِبَهُ بِالتَّسَاوُلِ عَنْهُ، فَأَصْلُهُ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ، أَيْ مَخْطُوبٌ فِيهِ، وَجَمَعُهُ خُطُوبٌ. وَالْمَقْصُودُ بِالْخَطْبِ فِي الْآيَةِ: الشَّأْنُ الْمُهْمُّ مِنْ حَالَةٍ أَوْ حَادِثَةٍ⁽²⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

قال إبراهيم للملائكة: فما شأنكم الخطير الذي أرسلكم الله به سوى البشارة؟ وكأنه ﷺ فهم من مجرى حديثهم في أثناء الحوار أن ليست هذه البشرى هي المقصودة، بل لهم شأن آخر لأجله أرسلوا؛ لأنهم كانوا عدداً والبشارة لا تحتاج إلى مثل هذا العدد، ومن ثم اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم ﷺ، وأيضاً لو كانت البشارة هي المقصودة لابتدءوا بها⁽³⁾.

إدراك إبراهيم
أن وراء مجيء
وفد الملائكة
الجماعي أمرًا
خطيرًا

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالْبَدَاعِيُّ:

سِرُّ تَوْسِيطِ الْفِعْلِ «قَالَ»:

قوله تعالى: «قَالَ وَمَنْ يَقْنُطُ» «قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ»، توسيطُ «قَالَ» بين قوله ليكون على طريق الاستئناف، إما للإيذان بعدم اتصال ما بعده بما قبله؛ لِيُؤْذَنَ بِأَنَّ بَيْنَهُمَا مَقَالَةٌ مَطْوِيَّةٌ، وَأَنَّ الْكَلَامَ تَخَطَّاهَا لَعَدَمِ ابْتِنَاءِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَطْوِيِّ بَلْ عَلَى مَا هُوَ مَذْكُورٌ، وَمِثْلُهُ قوله تعالى: «قَالَ عَاسِفُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۖ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ» [الإسراء: 61 - 62]، فَإِنَّ قَوْلَهُ الْأَخِيرَ لَيْسَ مُوَصَّلاً بِقَوْلِهِ الْأَوَّلِ بَلْ هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَإَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ» [الحجر: 34]، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ تَوْسِيطُ «قَالَ» لِإِظْهَارِ الْإِعْتِنَاءِ بِمُضْمُونِ مَا بَعْدَهُ مِنْ

طبي الكلام
اعتباراً لما هو
مذكور لا ما هو
محدوف

(1) ابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (خطب).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/290.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 14/86، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/36، وللراغب، تفسير

للمراغي: 14/34.

قوله تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾؛ للإشعار بأنه علم أن مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شأن آخر خطير لأجله أرسلوا⁽¹⁾.

دلالة الفاء الفصيحة ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾:

الفاء جوابٌ لشروطٍ محذوف⁽²⁾، يدلُّ عليه سياقُ الكلام، والمعنى: فإن كان مجيئكم ليس لمجرد البشارة فما خطبكم أيُّها المرسلون، وفي مجيء الفاء إشعارٌ بأن إبراهيم كان يريد أن ينتقل بالكلام معهم إلى ما هو أهمُّ وأعظمُّ شأنًا عنده من أمر البشارة بالولد، فكأنه علم أن تمام المقصود من مجيئهم ليس في البشارة.

سبب الاستفهام في قوله: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾:

لما كان الاستفهام بـ(ما) على معنى العموم واقترب به لفظ ﴿خَطْبُكُمْ﴾ أفاد أن الاستفهام يستغرق أهمَّ شأنٍ من جميع شؤونهم وأحوالهم، وأنَّ هناك أمرًا خطيرًا أرسلوا من أجله، والسؤال عن الخطب فيه عنفٌ، قاله إبراهيم ﷺ لما أنكر حالهم، فأراد أن يستعلم عن الأمر الذي أتوا لأجله، بطريقٍ يُعرفهم به أنه على علم بأنَّ لهم شأنًا عظيمًا في مجيئهم⁽³⁾.

نكتة التعبير بلفظ ﴿خَطْبُكُمْ﴾:

الخطب هو الشأن المهم من حالة أو حادثة، ولا يكاد يُقال إلا في الأمر الشديد، فأضافه إليهم للإيذان بأنه علم أنهم يحملونه إلى القوم المُعذِّبين، والمعنى، ما أمركم وشأنكم الخطير الذي لأجله أرسلتم سوى البشارة⁽⁴⁾.

إنجاء المؤمنين
وإهلاك
الكافرين، أهم
من البشارة
بالغلام العليم

إشارة إبراهيم
للملائكة، إلى
أنَّ لهم خطبًا
عظيمًا في
مجيئهم

الخطب هو
الشأن الذي لا
يكون إلا في الأمر
الخطير

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/82.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/176.

(3) ابن عطية، للحرر الوجيز: 3/366.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/85.

سِرُّ حَذْفِ حَرْفِ النَّدَاءِ فِي السِّيَاقِ:

قوله تعالى: ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾، حذف حرف النداء (يا) لأن الكلام في سياق الإيجاز والاختصار، ولهذا جاء الكلام مَطْوِيًّا، كما أنه لما كان المنادى وهم الملائكة قريبين من المنادي لحضورهم عند إبراهيم ﷺ لم يكونوا بحاجة إلى زيادة تنبيه بذكر (يا).

فَائِدَةُ النَّدَاءِ بِصِيغَةِ ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾:

لما كان المراد نداء المرسلين، وكان اللفظ المقصود بالنداء معرفًا بـ (ال) اقتضى مجيء الوصلة ﴿أَيُّهَا﴾ لتكون هي المنادى لفظًا، وفائدة النداء بهذه الصيغة الإنباء عن خطر خطب المنادى له وتفخيم شأن المنادى، لأن مجيء المنادى مبهمًا غير معلوم يجعل كل سامع متطلعًا إلى المنادى، فإذا خَصَّ واحدًا كان في ذلك إنباء الكل لتطلعهم إليه⁽¹⁾، كما أن مجيء المنادى مبهمًا ثم متبوعًا بنعت يوضحه ويبينه، فيه دلالة على أهميته، ولما جاء النعت أي ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ مشتقًا، دل على أن تعظيمهم بسبب رسالتهم التي أرسلوا بها، وبسبب كونهم مرسلين من عند الله.

سِرُّ نَدَاءِ الْمَلَائِكَةِ بِعُنْوَانِ الرِّسَالَةِ:

قوله تعالى: ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾، ناداهم بعنوان الرسالة بعد ما كان خطابُه السابق مجردًا عن ذلك؛ للإيدان بأنه علم أنهم ملائكة، وأن لهم شأنًا آخر أرسلوا لأجله، فأضاف الخطب إليهم بعنوان الرسالة من حيث هم حملته إلى القوم المعذِّبين، أي ما هذا الخطب الذي تحملونه وإلى أي أمة أنتم مرسلون؟⁽²⁾.

معنى (ال) في لفظ ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾:

(ال) هنا عهدية، فيحتمل أن يكون الملائكة قد صرّحوا بأنهم

حذف حرف
النداء لقرب
المنادي،
ولإيجاز في
الكلام

الإنباء عن خطر
خطب المنادى
له، وتفخيم
شأن المنادى

الإيدان بعلم
إبراهيم، أن
لهم شأنًا في
رسالتهم

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 25/153.

(2) أبو حيان، البحر المحیط: 6/486، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 82/5.

تنوُّع (ال)
بين العهد
الذكرّي والعهد
العلمي، مفيدٌ
في البيان

توجيه النظر إلى
سبب إرسال
الملائكة، وإلى
من أرسلوا

لفظ الشأن أعمُّ
من الخطب،
وكلاهما من
ألفاظ القرآن
الفصيحة

مُرْسَلُونَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَتَكُونُ (ال) للعهد الذِّكْرِيِّ المَطْوِيِّ فِي
الكَلَامِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ قَدْ عَلِمَ بِأَنَّهُمْ مُرْسَلُونَ مِنْ
حَالِهِمْ، فَتَكُونُ (ال) للعهدِ الْعِلْمِيِّ.

سِرُّ بِنَاءِ لَفْظِ ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ للمفعول:

خَاطَبَ إِبْرَاهِيمَ الْمَلَائِكَةُ بِصِغَةِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَفْعُولِ لِلإِذَانِ بِأَنَّهُ
يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَهُمْ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ مَا يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ بِهِ،
وَلِلإِشْعَارِ بِأَنَّهُ ﷺ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ لِمَ أَرْسَلُوا وَإِلَى مَنْ أَرْسَلُوا.

❁ الفروقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

الْخَطْبُ وَالشَّأْنُ:

الْخَطْبُ هُوَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَكْثُرُ فِيهِ التَّخَاطُبُ وَتَقَعُ فِيهِ
الْمَرَاجِعَةُ لِأَهْمِيَّتِهِ وَعِظَمِ أَثَرِهِ، فَيَكُونُ حَالًا أَوْ حَادِثَةً أَوْ أَمْرًا طَارِئًا،
وَلَا يُقَالُ لِلْوَصْفِ خَطْبٌ، وَالشَّأْنُ هُوَ الْحَالُ وَالْأَمْرُ الَّذِي يَتَّفَقُ
وَيَصْلَحُ، وَلَا يُقَالُ إِلَّا فِيمَا يَعْظَمُ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأُمُورِ وَالْأَوْصَافِ⁽¹⁾،
فَيُقَالُ لِلْوَصْفِ الْعَظِيمِ شَأْنٌ، فَالشَّأْنُ أَعَمُّ مِنَ الْخَطْبِ، وَلِهَذَا عَبَّرَ فِي
الْقُرْآنِ عَنِ الْمَعْنَى الْعَامِّ الَّذِي يَشْمَلُ الْأَوْصَافَ وَالْأَحْوَالَ وَالْحَوَادِثَ
بِالشَّأْنِ، لِلإِخْبَارِ عَنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَهِدٌ عَلَيْهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا
تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا
عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: 61]⁽²⁾.

(1) الرأغب، المفردات: (شأن).

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البياضوي: 11/177.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 25، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-22-7

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 25: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-22-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3019282 بتاريخ 2024/02/23م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»